

القرآن والتأصيل العقائدي الإمامة نموذجاً

سماحة الشيخ عمار عبد العزيز المنصور



سلسلة الفكر الرسالي

القرآن والتأصيل العقائدي الإمامة نموذجاً

سماحة الشيخ عمار عبد العزيز المنصور

مُحْفُوظٌ جَمِيعُ حَقُوقِ

■ هوية الكتاب:

* الكتاب: القرآن والتأصيل العقائدي .. الإمامة نموذجاً.

* المؤلف: سماحة الشيخ عمار عبد العزيز المنصور .

* الطبعة: الأولى: ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

* الناشر: مركز الفكر الرسالي للأبحاث والدراسات.

* التنسيق والإخراج الفني: الكلیم للتصميم:

نقال: +973 36778827

البريد الإلكتروني: mohd.he@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

منذ الستينيات من القرن المنصرم والفكر الرسالي يواصل عطاء آتة في ساحة الفكر، وقد ساهم هذا الفكر في طريق نهضة الأمة، من خلال آلياته ومصادره الإسلامية الأصيلة المتمثلة في كتاب الله العزيز، وسنة النبي الكريم ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام، والعقل المسترشد بهديهم النير. وقد تبلور الفكر الرسالي في مدرسة رسالية راسخة في التجربة، واسعة في العطاء، للكثير من الجوانب التي اهتمت بها.

وتحولها إلى مدرسة فكرية رائدة يعني أنها تناولت وعالجت العديد من جوانب الحياة التي تصوغ حياة الإنسان كنظام حياة، فكان لها العطاء في الجوانب الفكرية والسياسية والاجتماعية والعلمية المختلفة.

ولأننا نؤمن بأن الفكر الرسالي قد قدم نظرياته وإسهاماته المعبرة عن الروح النابضة والناهضة للإسلام - الذي أراده الله أن يقود الحياة - فإننا نقوم في هذه السلسلة من الإصدارات (سلسلة الفكر الرسالي)، باستظهار بعض إسهامات الفكر الرسالي وقراءاته، من خلال إسهامات مداد رجالاته، كبعث جديد، أملاً في أن يأخذ الفكر الرسالي موقعه الريادي في حياة الأمة، واكتشاف جوانبه المشرقة.

سلسلة الفكر الرسالي



هذه الدراسة

إن القرآن الكريم نزل هدى ونوراً لكل البشرية كهدف أسمى يتشمل الله به الناس كافة، من الظلمات إلى النور، والهداية العظمى هي الهداية إلى الإيمان الصحيح والمعتقد الصائب الذي ينتقد الإنسان من أغلال الأهواء التي ترسم حياة الإنسان في الدنيا، ومن النتيجة العقابية التي تخلّد الإنسان في النار في الآخرة.

لم ينزل القرآن الكريم مخاطباً عقول عامة الناس تلهياً بالحديث ولا زخرفة للقول، ولا مجرد تعجيز عن الإتيان بمثل فنه وعلمه، وإنما كان من أسس نزوله المبارك ليخاطب كافة العقول بالبراهين البيّنات وبالحقائق المحكمات، ليأخذ تلك العقول الخالية من أي تعقيد إلى ساحة الهداية الكبرى، وهي سلامة المعتقد، وإن كانت التفاصيل الاعتقادية بحاجة إلى مزيد جهد وإلى معرفة مفاتيح المعرفة للنص القرآني والتي أشار إليها أهل البيت عليهم السلام في أكثر من موضع، إلا أن الهداية العامة مكفولة لكل إنسان، حيث زوّده الله تعالى بالفطرة فخاطبه بها في كتابه، حيث

قال تعالى: ﴿الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾^(١).
وقال عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٢).

الآيتان تحقّقان معنى الهداية المكفولة عبر القرآن الكريم من خلال تلاوة آياته والتدبر فيها، فالآية الأولى تُعنى بالمضامين المرسلة للعقل، فهي مضامين للناس كافة دون استثناء تحقق لهم الهداية وتشكل الفرقان بين الحقائق والأباطيل، والآية الثانية تُعنى بالجهة المستقبلة المتمثلة في العقل البشري، فهو مهيبٌ لاستقبال المعارف القرآنية وتمييز ما يرد إليه من براهين، لأنها تخاطب عقله الفطري الذي خلقه الله تعالى كأداة تكشف الحقائق وتتعامل مع البيّنات، وهذه المنهجية مضى القرآن الكريم مخاطباً عامة الناس في أفق من آفاقه، فهو يحقق لهم الهداية في خطوطها العامة، وهذه هي مرحلة «هدى للناس».

المرحلة الثانية التي تنقل الآيات القرآنية الإنسان إليها في مجالها العقائدي هي مرحلة «هدى للمتقين» كما في الآية الكريمة:
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، فهذه المرحلة

١- سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

٢- سورة الروم، الآية: ٣٠.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢.

تتحقق بعد الهداية العامة، بحيث يدخل المتقي في البعد التفصيلي للعقيدة من خلال امتلاك المفاتيح المنتجة للمعرفة القرآنية، المستلّة من توجيهات النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين.

فمن الأهمية بمكان أن ينتهج الإنسان نهج الإنفتاح على قراءة النصوص القرآنية دون التأثيرات المعرفية التي طرأت عليه من خلال مجتمعه، التي قد توجهه نحو مفاهيم ملتبسة فلا يعي القرآن إلا من خلال ذلك الفهم، لأن القرآن الكريم مهما أُستخرجت جواهره المعرفية المعمّقة، فإنها تبقى مُصدّقة للحقائق الواضحة التي يؤكّد عليها في آياته والتي يتعلّقلها حال تلاوته كل إنسان عربي اللسان، وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

إن التأصيل العقائدي من خلال القرآن الكريم في بعد التوحيد أخذ منحى مخاطبة العقل الفطري للإنسان فيثير فيه التساؤلات المتنوعة والتي تحاكي البيئة التي يعيشها، فيفاجئ بإجابات فطرية مخزّنة في داخله، وهذه هي العملية التي يسميها القرآن الكريم بالتذكرة، فالتذكرة هي استخراج المعرفة الكامنة في العقل من خلال الإثارة عبر التساؤلات أو الإشارات

١ - سورة النساء، الآية: ٨٢.

للموجودات، كما في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ. فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(١).

والتأصيل العقائدي القرآني في أمر الإمامة في خطوطة العامة، يؤسس النظرة الثابتة لمفهوم الإمامة من خلال وضع المعايير المهمة التي تتوفر عليها الإمامة والمواصفات الثابتة التي أجرى الله تعالى عليها سننه الثابتة التي لا تتبدل، وتتبع هذه المعايير ودلالاتها الواقعية، يقي الإنسان من الانحرافات، فطيلة التاريخ سعت العديد من القوى لثبيت مفهوم خاص بالإمامة، من خلال إذكاء مفاهيم معوجة ومفصلة على مقاييس تخدم مراميمهم، وقد وصل الحال بالأمة الإسلامية التي تتبع القرآن الكريم إلى الانحراف الصارخ عن مفاهيمه في شأن الإمامة، فتم التأسيس لإمامة الفاجر، والتأسيس للقبول بولاية الظالم، والجاهل، والتبرير لكل الأفعال المشينة التي تصدر من الولاية، فخدمت أجندة اعتقادية بعينها، ولا مفر أمام هذه التوجهات إلا الثبيت المفهومي من خلال تأصيل عقائدي لشأن الإمامة من محكمات القرآن الكريم.

١- سورة الغاشية، الآية: ١٧ - ٢١.

البحث الذي بين يدينا يعالج المسألة العقائدية قرآنيًا
ويطرح مفهوم الإمامة كنموذج له أهميته في البناء المعرفي للإنسان،
مؤلف البحث سماحة الشيخ عمار المنصور الذي وافاه الأجل في
مقتبل العمر، ناقش موضوع التأصيل العقائدي قرآنيًا من خلال
إثبات حجية البرهنة بآيات القرآن الكريم، ومقدرته على إيصال
الفكرة الاعتقادية بوضوح، وطرح مثلاً تطبيقياً للإمامة الإلهية
ومعاييرها الربانية الثابتة، ولم يعتمد أسلوب الإسهاب، بل اعتمد
في بحثه على المخزون المعرفي للقارئ وآلية الحر تكفيه الإشارة.





القرآن والتأصيل العقائدي

(توطئة)

إن القول بتنامية القرآن الكريم المستند إلى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) هذا القول يؤسس شرعية الرجوع إلى القرآن في كل ما يتعلق بالدين، أصولاً وفروعاً، وفيما يتعلق بالفروع فقد تم الرجوع إلى النصوص بشكل عام وللقرآن الكريم بشكل أقل، إذ لا مناص من ذلك.

أما في ما يتعلق بالأصول العقائدية فثمة عقبات في طريق العودة إلى القرآن، هذه العقبات تختلف عن تلك التي تعترضنا لدى العودة إليه في الفروع.

وبدءاً نتوقف قليلاً لاستعراض بعض النقاط الدالة على ضرورة التأصيل.

١ - الشرعية: بمعنى صحة الإسناد والاستناد، لاسيما أننا

١ - سورة النحل: ٨٩.

نبتغي الرؤية القرآنية كما هي، لا كما تفرضه تصوراتنا وثقافتنا، ﴿قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أُمَّ عَلَىٰ اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾^(١).

٢- الحجية: لا بد أن تكون هناك ثمة حجة مشتركة مع الخصم حتى يمكن خلق حوار عقلائي مثمر. ولذا يمكن القول بامتياز القرآن الكريم عن السنة بأنه قطعي السند.

٣- استفادة طرق أو أدلة القضايا الدينية وطرق عرضها وتقديمها من خلال النصوص.. حيث أننا نلاحظ أن نجاح النص القرآني وسائر النصوص المعصومة لا يوازيه تأثير كلام آخر، فربما استطاع الفلاسفة أن يجادلوا عن الدين لكنهم ما استطاعوا أن يدخلوا الناس في التدين. مع أن ملاحظة الرجوع إلى النصوص في استفادة الأدلة ليس من حيث التعبد فقط. وإنما أغلب الأحيان من باب الإرشاد وكما تعبر عنه النصوص (التذكرة)، قال تعالى:

﴿طَه. مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذَكْرَةً لِّئِنْ يَخْشَى﴾^(٢)، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

وإثارة دفاثن العقول، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام عن مهمة الأنبياء:

١- سورة يونس: ٥٩.

١- سورة طه: ١-٣.

٣- سورة الكف: ٢٩.

«وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِم بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِرُّوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ».

بل إن عدم البناء ينم عن تشكيك - ولو في اللاوعي -
بقدرة النصوص في التأثير وفي عقلانيتها علماً أنها من لدن (العليم
الحكيم)، كما ينم ذلك عن الاعتقاد أن الفكر والثقافة البشرية هي
الأكفأ.

رؤى وعقبات

وفي هذه العجالة نتوقف عند بعض الملاحظات المنهجية:

أولاً: عقبات (نظرية أو ثقافية):

هناك ثمة عقبات (نظرية أو ثقافية) رائجة تواجه الباحث. هذه العقبات تضعف عملية الاستناد إلى النصوص، منها إشكالية الدور في رفض الاعتماد على النقل، ومنها ظنية الدلالة والسند في الروايات، ومنها أن المطلوب في الأصول هو العلم لا السمع.

ويمكن ملاحظة أن إشكالية الدور أخذت ذريعة لاستبعاد النصوص بشكل كبير، وهذه الإشكالية مبنية على مغالطة واضحة، وإلا فإن حلها بالمغايرة بين الإجمال والتفصيل واضح، وبعبارة أخرى بالعقل يعرف أصل التوحيد، وبالعقل يُعرف أصل النبوة، أما فروع ذلك فهو موكول إلى النص، كما هو معلوم، فلا دور في البين إذن، إذ من الواضح أن سبيل معرفة الأصول ليس واحداً.

ففي المعاد - مثلاً - : لا ينفع العقل ومناهجه النظرية الا في بيان إمكانه وعدالة تحققه ويبقى الحسم للمنهج النقلي.

وفي النبوة: فأن التصديق للعقل، إلا أن لولا بعث الأنبياء لم يلتفت أحد لهذا اللطف إلا أن يكون ملائكي التفكير.

وفي التوحيد: وهو أصل الدين فقد أجمعت النصوص على عجز العقل عن المعرفة «الكنه» وأما الذي لدينا فهو معرفة فطرية ويبقى للعقل الالتفات والتصديق.

وخلاصة القول كما أن معظم معارفنا العقائدية هي نقلية وإنما يقبلها العقل، فإن هذا العقل المدعى خلوصه واستفراجه ببعض المعارف العقائدية «نستثني البدييات» إنما استطاع ذلك بتذكير الأنبياء وتعليم الرسل فنحن لا نتحدث عن «يقظان» في جزيرته النائبة.

أما ظنية الدلالة أو السند، فتارة يُراد بها خلق الشك للهروب من التسليم، ولا يخفى أن منهج التشكيك للتشكيك دون مستند عقلائي غير مقبول عند العقلاء، وتارة يراد أن الظنية بمعنى أن الدلالة تكون أو تخلق ظناً عقلائياً اطمئناناً دون اليقين، ويمكن أن نعلق على هذا بـ:

أ- ليست كل النصوص كذلك، فمنها القطعي الدلالة والسند.
 ب- إن كثيراً من الأدلة العقلية التي تُساق هي تخرصات لا ترتقي ان تكون ظنونا عقلائية؛ بل إن ملاحظة الاستدلالات عند الباحثين في أصول العقائد تراهم يمزجون ويعاضدون الأدلة العقلية الظنية بالأدلة النقلية الظنية مما ينتج عنه العلم عندهم.

ج- إن بعض الظنون هي ظنون متأخمة للعلم (اطمئنان) - أي علم عرفي- ولا ريب في حجيته، إذ العلم بالمعنى المنطقي ليس مراد النصوص، وليس شرطاً عند العقلاء، والعلم بالمعنى الواقعي- كما عند الله سبحانه وتعالى، ليس مقدوراً عليه في الغالب، فالعلم واليقين إنما هما اطمئنان مشارف لليقين بأدلة واضحة، نقلية كانت أو نظرية، فالمطلوب هو العلم العرفي عقلائياً وشرعياً، بمعنى الأطمئنان المشارف لليقين بأدلة عقلائية، سواء كانت نقلية أو نظرية.

والأمر كذلك من حيث السند، علماً أن القطع بصدور الرواية أعم من السند كما هو معروف.

أما إشكالية وجوب أن تكون العقائد بالعلم لا بالسمع، فهذا لا يتنافى مع النقل ولا سيما مع ملاحظة أمور:

أ- النصوص تكون تذكرة وإرشاداً، بمعنى النقل يكون جسراً للعقل.

ب- إننا نريد أن نتعرف على الدين لا كما طرحه ثقافتنا والتي يسميها البعض (عقول) ومن ثم ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(١)، والإسلام هو التسليم. إن التذرع بحرية الفكر لا ينفع للمغايرة، وإن كان لا بد فالحرية في الفكر والإيمان لا في تأسيس ديناً جديداً ونسبته لله تعالى عما يصف الظالمون علواً كبيراً.

ت- إن اشتراط العلم (التعقل والافتناع) إنما يكون في أصول (الأصول) العقائدية لا فروعها. فمن ذا الذي يدعي أن تفصيل مباحث المعاد غير نقلية (تعبدية)، وهذا لا يمنع عقلائيتها حيث هي نتاج منهج (النقل) ارتضاه العقل.

ج- هناك مغالطة في جعل الأدلة النقلية في قبال الأدلة العقلية، والحقيقة أن هناك مناهج نقلية، وهناك مناهج غير نقلية (نظرية) والتي يسميها البعض عقلية، بمعنى أن العقل يرتضيها مناهج للمعرفة، فعقلانية منهج ما هي شرعيته لدى العقل، فإذن أمام العقل للمعرفة طريقان لا تناف بينهما:

١- سورة الكهف: ٢٩.

- النقل، وهو نهج عقلائي حيث أن الله حق والرسول حق.
- الأدلة غير نقلية المقبولة عقلاً، وحين التعارض بين الطريقتين يعالج بما يعرف بمبحث تعارض الأدلة، لا العقل والنقل.

ثانياً: السنة عدل القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة نسق واحد، فمع أن البعض يتخذ الرجوع إلى القرآن الكريم وسيلة لضرب السنة، قديماً وحديثاً، إلا أن اتكاء القرآن الكريم على القرائن المنفصلة واعتماده في إتمام بيانه على بيان الرسول ﷺ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١). يجعل السنة جزءاً دالياً لا ينفصل عن القرآن الكريم. ولا نعني بذلك أن ليس للقرآن ظهوراً مستقلاً، إذ به تُقبل الأحاديث وتُرفض، وبه يُحتج على الآخر كما هو واضح؛ بل له بدءاً استقلالاً نسبياً - إن صح التعبير - بحيث ما عارضه زخرف وما وافقه حق. أن أصول علم الفقه قد أغنت هذا البحث، بحيث يبقى معظم الجدل فيه لعدم التسليم ليس إلا.

١ - سورة الحشر: ٧.

ثالثاً: العقل ضابط لا مؤسس للفهم القرآني

فلا ريب في حجة العقل، ولا ريب في دور العقل (المصباحي). وعبارة دور العقل في فهم النص كما هو، وكما يسميه البعض بالعقل الوظيفي، فهذا لا يختلف عليه اثنان، حتى السلفيون. لكن الكلام في دور العقل كميزان يُحتكم إليه في فهم النص، ولنا ملاحظات في هذا المجال:

١- إن العقل ليس جزء القرآن، بمعنى ليس جزءاً دلاليًا. لكنه والقرآن الكريم صنوان، فهما من خالق واحد، مما يعني استبعاد بل استحالة التباين والتناقض بينهما، مما يعطي العقل صلاحية الإرشاد لعدم إرادة المعنى الذي يناقضه.

٢- إن العقل في فهم القرآن الكريم ليس مؤسساً في فهم الدلالة، بمعنى أنه لا يوجد الدلالة ولا يخلقها بل هو ضابط عن الفهم المعوج. فمثلاً لو أمكن للغة أن تحتل أن اليد - في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١) - حسية، فإن العقل يمنع هذا الفهم، ولكنه في نفس الوقت لا يؤسس أن معنى اليد في الآية

١- سورة الفتح: ١٠.

المباركة هو القدرة، فالقدرة هي دلالة لغوية (عرفية عقلائية) كما لا يخفى، فالعقل ضابط لا مؤسس. وصلاحيته في هذه الضابطة تقتصر على نوعين:

أ- الأحكام العقلية العلمية الفطرية، كمبدأ عدم التناقض.

ب- الأحكام العقلية الأخلاقية، كقبح الظلم.

نعم يوظف العقل التراكم المعرفي ليشكل معايير إضافية مثل عدم جواز الاختلاف الدلالي في القرآن ومثل حاكمية الأصول على الفروع.

وخلاصة القول أن حجية العقل لاتبرر اسقاطات العقل المكوّن -الثقافة- على دين الله، وحجية العقل -الفطري- تسمح بما سبقت الإشارة إليه. بل وتلفت النظر إلى مغالطة شائعة بذريعة الحجية أو قوة منطق الحق للسماح بالانفتاح المقلوب، حيث يتشبع المرء بثقافات البشر ثم يفتح على النصوص بعين تلك الثقافات، وإذا كان العكس ممنوعاً لديهم فأقلاً حذف الوسائط مع النصوص والتمييز بين ما ينتجه النص الديني وما نراه نحن.

رابعاً: التعضية

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾^(١)، وتتجلى في أمور نقتصر

منها على اثنين:

أ- تجزئة الفهم القرآني، مما يعني الاعتماد على آية و غرض النظر عن الآيات الأخرى المتممة لها دلالياً، وربما تكون الآية الأولى من التشابهات، أو بفصل الآية عن سياقها، ويمكن ضرب مثال في علم الغيب. قال تعالى لنبيه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢). حيث استدل بعضهم على نفي علم الغيب عن المعصومين عليهم السلام بهذه الآية المباركة غاضاً بصره عنها لآيات الأخر المثبتة. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿عَالَمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٤)، وقال

١- سورة الحجر: ٩١.

٢- سورة الأعراف: ١٨٨.

٣- سورة يوسف: ١٠٢.

٤- سورة الجن: ٢٦-٢٧.

تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(١)، فالاستثناء هنا أيضاً كاشف عن حقيقة أن هناك من البشر من يحيط بشيء من علم الله سبحانه وتعالى ولكن بإذنه ومشيئته.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

ولو أردنا أن نستعرض الآيات التي تشير إلى العلوم الغيبية التي يحيط بها من اجتباهم الله سبحانه وتعالى من خلقه بإذنه لطال بنا المقام، وأحسب أن فيما ذكر الكفاية.

ثم أن المتأمل في الآية: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾^(٣)، يصل إلى أن (السوء) في القرآن الكريم كلمة عادة تطلق على كل ما يكرهه الإنسان، لذا تتعدد مصاديقه. وبقرينة النفع والضر فإن هذا الغيب المنفي هو المتناسب مع عدم جلب النفع ودفع الضر، لا مطلق الغيب.

وبذلك نفهم أن الرسول ﷺ، جمعا بين الآيات، لا يمتلك

١- سورة البقرة: ٢٥٥.

٢- سورة ال عمران: ١٧٩.

٣- سورة الأعراف: ١٨٨.

الغيب المطلق ولا أحد يدعيه، كما هو واضح.

وهناك غيب مثبت لمن ارتضى، كما أن هناك غيب غير متاح لأحد لحكمة الابتلاء، أما تفصيل ما هو الغيب المتاح للمعصوم فلا سبيل لنا لمعرفة إلا بالنصوص. نعم، كل ما يحتاجه المعصوم في أداء وظيفته يعلمه، والنصوص تدل على أوسع من ذلك ليس هنا محل تفصيله.

وعليه لا يمكن الاستدلال بهذه الآية على نفي الغيب إلا من كان في قلبه مرض أو في عينه خلل.

٢- من مصاديق جعل القرآن عظيمين، قصر الدلالة على ما يفهمه العربي في الصدر الأول من الإسلام، حيث يُتخذ هذا اللون من القصر والاختزال في فهم الآيات كذريعة لاستبعاد الفهم العلمي العميق للآيات، الذي يستوعب الرؤية الدينية المتنوعة والعميقة حيث يمكن الاستفادة من القرآن الكريم على مر العصور. فمن قصر الدلالة على ما يفهمه العربي من الصدر الأول، يحتاج البعض أن مفهوم الإمامة كعهد إلهي أو العصمة أو بعض الإشارات العلمية المتنوعة في الآيات القرآنية غير مقصودة في القرآن أو غير مرادة، لأن ذلك العربي الأول لم يفهم ذلك وكان

القرآن الكريم أنزل عليهم ولهم فقط. وهذا فيه خلط وجهل.

أما الخلط فهو بين عالم الفقه وعالم المعنى، ولا ريب أن اللغة هي مفردات وروابط وهيئات جمل تفصح عن المعنى، لكن الوضع اللغوي لا يشمل المعنى التركيبي، وإنما يشمل المفردات وأما عالم المعنى فهو ينتمي الى ثقافة المتكلم وعلمه، وإنما يستخدم كلمات ومفردات تنتجها اللغة لبيان المعنى فإذا كان المتكلم والمكلم مشتركين في أفق ثقافي تولد التفاهم أما في حالة التباين الثقافي فلا تنفع اللغة إلا في معنى المفردات ويبقى المعنى الكلي غائباً.

فالأعرابي وإن فهم كلمة الرياح والإرسال واللواحق إلا أنه لا يلتقط الإشارة العلمية الموجودة في الآية^(١). هذا بالنسبة إلى الخلط.

أما بالنسبة للجهل، فهو جهل بحقيقة أن القرآن الكريم من الرب تعالى، خالق البشر، العالم بهم، وخالق الكون وسننه، وأنزل القرآن الكريم للبشرية كافة على مر الدهور حيث يغنيهم عما سواه فلا يمكن مقايسة القرآن الكريم على نص صادر من أعرابي ذلك الزمان بحيث تحصر الدلالة بما تحتمله ثقافة تلك الأيام.

١ - إشارة إلى الآية: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ سورة الحجر: ٢٢.

ونحن هنا لا نعني مطواعية النص وتمييعه بها لا يقبل ولا
يحتمل من معنى، فتبقى اللغة، معان ومفردات، نحوية و صرفية،
ضابط لما يدل عليه النص وإنما نعني منع الثقافات من تحجيم النص.

وبهذا تتضح مقولة ابن عباس التي استقاها من أمير المؤمنين
عليه السلام: (إن للقرآن معان يفسرها الزمان). حيث يدل كلام
أهل البيت على أن القرآن كالشمس تشرق كل يوم من جديد. ولو
أمعنا النظر فإن الظاهر والباطن والمحكم والمتشابه والجسر الرابط
بينهما - أي التأويل - هو الذي ينتج تجدد الفهم القرآني.

خامساً: فقه الخطاب

إن التذكر بالنص والتعبد به يجعله الركن الأساس في المعارف الإلهية، والموضوع شائك جداً، إن من جهة الموضوع وإن من جهة تشعب النصوص وتعقيدها، مما يتطلب الاختصاص والاحتراف كما علم الفقه بل هو أولى نظرياً.

إن البحوث الأصولية في الدلالة وفي علاقات الأدلة ضرورية لكنها لا تكفي، كما أن كثير من المسلمات المدرسية بحاجة لإعادة فحص وتمحيص، ومما يلفت النظر أن الأصوليين بحثوا الكثير من مفردات العقائد وبصورة أعمق وأكثر تأصيلاً مما هو سائد في البحوث المختصة رسمياً، مما يدل بصورة واضحة أن أعمال المنهج التأصيلي الصارم يمكننا من إعادة بناء الكثير مما هو متعارف.

وليراجع من شاء المسألة المشاعة جداً (عدم جواز التقليد في الأصول) ليرى أن بناء المسألة مغاير للمتداول. ونتوقف هنا عند بعض الإشارات:

أ- أن القطيعة التي خلقها النص الإلهي مع الثقافة البشرية وابتكاره لمواضيع جديدة وعنايته بالشؤون الغيبية غير معهودة ولا تخاذ النص طريقة وسطى تخاطب العالم والجاهل والماضي والحاضر والمستقبل وغير ذلك، جعل للنص عالمه الدلالي الخاص، انطلق من لغة العرب (مفردات وأنظمة نحوية وصرفية) ولم يقف عندها، لذا كان لزاماً وضوح الفصل والمباينة بين المصطلحات البشرية وبين النصوص، وهذه اللزومية لا تتبع من التوقيفية في بعض الاصطلاحات (الأسماء الإلهية - بل جميع مخترعات النصوص) بل لأن هذا التسامح يخلق خلطاً دلاليّاً سمجاً، كما يسمح باستدلالات معاكسة لمراد النصوص. بل أن البعض يتعمد هذا لإضفاء الشرعية على توهمات، إن المتتبع لهذه المباحث لا يجد عناءً في تصيد الخلط - المتعمد عند البعض - في المسميات (الإرادة: الشوق أو العلم - الخلق: الفيض - الثقافة أو الفلسفة: العقل - النبي: المثقف...). إن هذا الخلط المنهجي القاتل مغفول عنه بدرجة تستدعي الريبة. وربما هذا من أظهر أخطاء المتكلمين والذي أعجزهم في بعض الموارد أمام الفلاسفة.

ب- الخلط بين الظهور وبين الحقيقة والمجاز أو جد إرباكاً ولا سيما لدى السلفيين واتهاماً لغيرهم بعدم اعتماد الظهور

لصالح المجاز، والحال أن الظهور مغاير لهما فقد يكون مجازاً وقد يكون المعنى الحقيقي، إذ عالم الحقيقة والمجاز هو المفردات بينما الظهور للمعنى الكلي (السياقي - الوظيفي). ومع أن اللغة تسمح بالمجاز بل لا تستغني عنه، إلا أنه أصبح ذريعة للخلط بين المجاز وبين الإشارة لبعض الحقائق الغيبية (العرش كمثال)، فالنصوص حين تتحدث عن العالم غير المحسوس (الغيب) أشارت لتلك الحقائق بمسميات (مصطلحات) قد يكون لها أصل لغوي معروف - لحكمة قد تكون غائبة عنا، وهذا لا يجعل (العرش مثلاً) مجازاً ويبرر إخراجها عن الوجود (وإن كان غير محسوس) كما وقع في ذلك المعتزلة. كما أصبح المجاز عند البعض بذريعة التأويل والباطن مسرحاً للأهواء والإسقاطات (لاحظ فصوص ابن عربي).

أن صيرورة التأويل والباطن معول هدم هو أخطر من القشرية الساذجة، والحذر منه إنما يكون بتأصيل (التأويل - الباطن) وغيرهما من أدوات فهم النص بصرامة التأصيل لأدوات الاستنباط الفقهي، والإعراض عن التفسير البشري لمصطلحات النصوص.





الإمامة نموذجاً

وفيما يلي نتطرق لبعض المفردات في الإمامة كنموذج للبحث القرآني، ونبدأ بالتعريف مع تحكيم الرؤية القرآنية.

فالإمامة عهد إلهي يصطفي الله تعالى له من يشاء بحكمته، وينيط به القيام بالشريعة، تبييناً، وصيانة، وهداية للناس إليها، وحكماً بها. فنلاحظ أن التعريف الشيعي لمفهوم الإمامة يشمل ما يلي:

١- العهد الإلهي: وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

٢- الاصطفاء: يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢). ويقول: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

١- سورة البقرة: ١٢٤.

٢- سورة القصص: ١٦٨.

٣- سورة القصص: ٧٠.

حيث يستفاد من هذه الآيات أن الأمر في أمور الدين والدنيا هو لله تعالى دون خلقه، ولا اختيار للعباد في التصرف في ذلك، خصوصاً مع تقديم الرب بقوله: (وربك) في نسبة الخلق والاختيار إليه ونفيه عن المخلوقين إذ الاختيار يلزم أن يكون مع العلم بأحوال من يقع عليه الاختيار، ولا يعلم غير الله تعالى جميع أحوال المختار حتى يكون له الخيرة.

ويستفاد هذا الملاك من قوله في الآية التالية: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(١)، وفي هذه دلالة كما أفاد الشيخ الطبرسي في مجمع البيان على أن من لا يعلم السر والجره فلا اختيار له.

٣- ما جاء في التعريف ما يناط به القيام بالشريعة، صيانة عن التحريف، هداية إليها.. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)، وقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٤).

وأخيراً بالنسبة للحكم قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا

١- سورة القصص: ٦٩.

٢- سورة ياسين: ١٢.

٣- سورة النحل: ٤٣.

٤- سورة السجدة: ٢٤.

هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴿١﴾.

ف نجد أن مفهوم الإمامة عند الشيعة قد احتوى على المرجعية الدينية بمعنى صيانة التشريع والهداية وأيضاً على القيادة السياسية حيث درج الشيعة في تعريفهم للإمامة على أنها رئاسة عامة وقرنوا الاثنين الدين والدنيا. وعندها يتضح عندنا المفارقة في المفهوم المخالف، حيث اقتصر على الخلافة السياسية لذا تكون لديهم طبقة عندنا المفارقة في المفهوم المخالف، حيث اقتصر على الخلافة السياسية لذا تكون لديهم طبقة حكام وطبقة العلماء، والكلمة الفاصلة كما لا يخفى للطبقة الأولى، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢).

لكن بهذه المفارقة بين المفهومين يتطلب شروط معينة خاصة عند الشيعي دون المخالف، نعم هناك شرط قد يختلف عليه وهو أن البعد السياسي كمفهوم للإمامة قد لا يرى ضرورة العصمة، فيقولون أن العصمة ضرورية للنبي ﷺ بما هو مبلغ بقوله وفعله.

١- سورة المائدة: ٤٤.

٢- سورة النساء: ٥٩.

ونتوقف هنا عند مفردة العهد في محطات:

الأولى: كلمة العهد في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

١- فنجد أن تقديم (إني) في قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ يفيد الحصر وأن الجعل مختص بالله سبحانه وتعالى.

٢- عبّر عن الإمامة بالعهد ونسبه إليه سبحانه بباء النسب، حيث تفيد كلمة العهد وباء النسب على حصره في الرب تعالى ومن عهده إليه ولا دخل للأمة، أي لا طرف ثالث في البين.

٣- دلالة الآية على أن منصب الإمامة أعلى من منصب النبوة والخلة، إن المنصب لم يُعط لنبي الله إبراهيم عليه السلام إلا بعد النبوة والخلة وذلك بدلالة قوله تعالى ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ حيث أن الخليل عليه السلام لم يرزق بالذرية إلا بعد الكبر، قال تعالى: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾^(٢). هذا بالإضافة إلى أن الخليل عليه السلام طلبها لذريته بعد أن تجاوز الامتحان بنجاح في ابتلائه بالكلمات.

٤- إن استحقاق العهد يتم بأمرين:

١- سورة البقرة: ١٢٤.

٢- سورة الحجر: ٥٤.

* امتحان خاص، أشارت إليه الآية: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾.

* عدم الظلم. أي العصمة، لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. وبما أن عدم الظلم، أي العصمة، هي ما يشمل الباطن والظاهر؛ فإنها مناطة بالإخبار الإلهي مما يقتضي التعيين الإلهي.

وأخيراً إن طلب إبراهيم الخليل عليه السلام الإمامة لذريته، حيث نفى الله سبحانه وتعالى أن ينالها ظالم من ذريته، يعني استجابة طلب الخليل في الذرية التي لم تتلبس بظلم.

ولا يخفى أن الاصطفاء كما يكون على نحو فردي كاصطفاء آدم ونوح يكون على نحو جمعي كاصطفاء آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين ذرية بعضها من بعض.

الثانية: المقارنة بين نظرية النص ونظرية الشورى على ضوء الآيات ويمكن إيراد بعض المفردات الدالة على تأصيل نظرية النص والعهد الإلهي:

١- الحاكمية. قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^(١).

وقد ذكرنا فيما سبق بعض الآيات المتعلقة بالموضوع.

٢- العصمة ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

١- سورة القصص: ٦٨.

٣- عدم مقدرة اختبار الناس للأصلح جهلاً واتباعاً للأهواء. قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(١)، فهذه الآية مخاطبة للمسلمين وذلك لأن الكفار كلهم للحق كارهون، وخير مثال نبي الله موسى عليه السلام واختباره لل سبعين رجلاً من قومه حيث بانت نتيجة هذا الاختبار من كليم الله موسى عليه السلام. وأخيراً فإن السنة الإلهية جرت على أبينا آدم وعلى مر التاريخ هذه السنة حكمت الأنبياء واقتضت التعيين، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾، و﴿اصْطَفَيْنَا﴾... وما إلى ذلك.

الثالثة: وأخيراً فإن هناك عقبة كتود أمام نظرية العهد، ألا وهي عدالة الصحابة بالشكل المطلق، مع أن السنة الإلهية التي حكمت الأنبياء على مر التاريخ تخالف هذا القول، وأن الأصل عدم العدالة بهذا الشكل المطلق، ويكفيك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مَّن بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ

١- سورة المؤمنون: ٧٠.

مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (٢).

فلا يقولن قائل أن فلانا اجتهد فأخطأ، والقرآن الكريم يقول: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ هذا مع ملاحظة أن جميع الآيات التي يستدل بها المخالف هي حجة عليه.

١- سورة البقرة: ٢٥٣.

٢- سورة البقرة: ٢١٣.





أهل البيت عليهم السلام وتأسيس الإمامة قرآنياً

إن أهل البيت عليهم السلام وهم العارفون بالقرآن الكريم قد بينوا في أكثر من موضع أمر الإمامة من جهة قرآنية، وقد يقال أنهم عليهم السلام عارفون بتأويل الآيات لذلك يسوقونها للتعريف بالمآلات الحقيقية للآيات، فلا يمكن الإحتجاج بها، وإن كان هذا وارد في العديد من رواياتهم عليهم السلام إلا أنهم كانوا يسوقون الآيات في بعض المواضع على سبيل الإستدلال والإحتجاج، وإثبات الحق في الإمامة، وهذه غاية تلزم الآخر بحسب المفاهيم المؤصلة قرآنياً من خلال تبيان المفاهيم المشتركة والجامعة التي يمكن أن تلزم الآخر كحجة وبرهان واضح.

ومن خلال إشارات أهل البيت عليهم السلام للآيات التي تؤصل الموضوع العقدي في الإمامة، ترسم لنا تلك الآيات الحدود القيمة الفاصلة التي لا ينبغي تجاوزها في صياغة مفهوم الإمامة،

ورسم معالمها الواضحة، بل والإشارة إلى مشخصاتها في الواقع، من الاختيار الرباني والالتزام بروح القرآن، والعمل به، إضافة للمواصفات الشخصية في الإمام، لمنع أي مفهوم دخيل يشهوه منصب الإمامة، كالقبول بإمامة الجائر أو الفاسق وما شابه ذلك.

لذا نسوق في هذا الفصل الملحق، تلك الآيات التي وردت في البحث وحسب، في سياق حديث أهل البيت عليهم السلام عنها لتعزيز المنحى البحثي المعتمد.

١ - العهد الإلهي

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١)

الكافي:

مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ زَيْدِ الشَّحَامِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ

١ - سورة البقرة: ١٢٤.

خَلِيلًا وَإِنَّ اللَّهَ أَخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الْأَشْيَاءَ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ فَمِنْ عِظْمِهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ قَالَ لَا يَكُونُ السَّفِيهَ إِمَامَ التَّقِيِّ^(١).

تفسير العياشي:

عن صفوان الجمال قال كنا بمكة فجرى الحديث في قول الله «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» قال: أتمهن بمحمد وعلي والأئمة من ولد علي ص، في قول الله «ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ثم قال: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» قال: يا رب ويكون من ذريتي ظالم قال: نعم فلان وفلان وفلان ومن اتبعهم، قال: يا رب فعجل لمحمد وعلي ما وعدتني فيهما، وعجل نصرك لهما وإليه أشار بقوله «وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ- وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا- وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» فالملة الإمامة فلما أسكن ذريته بمكة قال: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ- غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» إلى قوله «مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ أَمَنَ» فاستثنى من آمن خوفاً أن يقول له لا- كما قال له في الدعوة الأولى «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» فلما قال الله: «وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا - ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» قال: يا رب ومن الذين متعتهم قال:

الذين كفروا بآياتي فلان وفلان وفلان^(١).

٢- الإختيار الإلهي

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ. وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ. وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحُمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

في الكافي^(٣) والمجالس عن الرضا عليه السلام في حديث فضل الإمام وصفته قال هل تعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم الى ان قال لقد راموا صعباً وقالوا افكاً وضلوا ضلالاً بعيداً ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وما كانوا مستبصرين

١ - تفسير العياشي، ج ١، ص: ٥٨.

٢ - سورة القصص: ٦٨ - ٧٠.

٣ - الكافي، ج ١، ص ٢٠١

رغبوا عن اختيار الله و اختيار رسول الله الى اختيارهم والقرآن يناديهم ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١).

وفي الإكمال^(٢) عن القائم عليه السلام أنه سئل عن العلة تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم قال مصلح ام مفسد قيل مصلح قال فهل يجوز ان تقع خيرتهم على المفسد بعد ان لا يعلم احد ما يخطر ببال غيره من صلاح او فساد قيل بلى قال فهي العلة و أوردها لك برهان ينقاد له عقلك ثم قال عليه السلام اخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله عز وجل وانزل عليهم الكتاب وايدهم بالوحي والعصمة إذ هم اعلام الأمم اهدى الى الاختيار منهم مثل موسى و عيسى هل يجوز مع و فور عقلهم إذ هما بالاختيار ان يقع خيرتهما على المنافق وهما يظنّان انهما مؤمن قيل لا قال هذا موسى كليم الله مع و فور عقله وكمال علمه ونزول الوحي اليه اختار من اعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه عز وجل سبعين رجلاً ممن لا يشكّ في ايمانهم وإخلاصهم فوق خيرته على المنافقين قال الله عز وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ

١- سورة الأحزاب: ٣٦.

٢- إكمال الدين، ص ٢٢١

رَجُلًا لِيَقَاتِنَا إِلَى قَوْلِهِ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ^(١)، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله عز وجل للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصالح وهو يظنّ أنّه الأصالح دون الأفسد علمنا أنّ الاختيار لا يجوز أن يقع إلاّ ممن يعلم ما تخفي الصدور وتكنّ الضماير وتنصرف إليه السرائر وان لا خطر لا اختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا الصلاح^(٢).

٣- الإمام المين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٣).

الصدوق في الأمالي: «حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّائِغُ الْعَدْلُ قَالَ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلَامٍ الْكُوفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ قَالَ حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ صَدَقَةَ عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْبَاقِرِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

١- سورة الأعراف: ١٥٥.

٢- الصافي، ج ٤، ص ١٠٠.

٣- سورة يس: ١٢.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، قَامَ رَجُلَانِ مِنْ مَجْلِسِهِمَا فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ التَّوْرَةُ قَالَ: لَا. قَالَا: فَهُوَ الْإِنْجِيلُ. قَالَ: لَا. قَالَا: فَهُوَ الْقُرْآنُ. قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ هَذَا إِنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي أَحْصَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ^(١).

٤- فاسألوا أهل الذكر

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

عن تفسير القمي: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي دَاوُدَ [عَنْ] سُلَيْمَانَ بْنِ سُفْيَانَ عَنْ ثَعْلَبَةَ [ثَعْلَبَةَ] عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنَ الْمَعْنُونَ [الْمُعَيَّنُونَ] بِذَلِكَ؟ - فَقَالَ: نَحْنُ وَاللَّهِ، فَقُلْتُ: فَانْتُمْ الْمُسْأَلُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ - قُلْتُ: وَنَحْنُ السَّائِلُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ - قُلْتُ: فَعَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَكُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ - قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ أَنْ تُجِيبُونَا؟ قَالَ: لَا - ذَلِكَ إِلَيْنَا إِنْ شِئْنَا فَعَلْنَا وَإِنْ شِئْنَا

١ - الأمامي، للشيخ الصدوق، ص ١٧٠.

٢ - سورة الأنبياء: ٧.

تَرَكْنَا - ثُمَّ قَالَ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

وفي بصائر الدرجات: «حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مَعْرُوفٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَيْسَى عَنْ عَمْرٍو بْنِ يَزِيدَ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ﴿إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُ بَيْتِهِ أَهْلُ الذِّكْرِ وَهُمْ الْمُسْأَلُونَ»^(٢).

وعنه حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: عَلَى الْأَيِّمَةِ مِنَ الْفُرْصِ مَا لَيْسَ عَلَى شِيعَتِهِمْ، وَعَلَى شِيعَتِنَا مَا لَيْسَ عَلَيْنَا، أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْأَلُونَا فَقَالَ: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُونَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا الْجَوَابُ إِنْ شِئْنَا أَجَبْنَا وَإِنْ شِئْنَا أَمْسَكْنَا»^(٣).

وعنه حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي نَصْرِ قَالَ: «كَتَبْتُ إِلَى الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ كِتَابًا فَكَانَ فِي بَعْضِ مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وَقَالَ اللَّهُ ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، فَقَدْ

١ - تفسير القمي، ج ٢، ص ٦٨.

٢ - بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، ج ١، ص ٣٧.

٣ - المصدر، ص ٣٩.

فَرَضْتُ عَلَيْكُمُ الْمَسْأَلَةَ وَلَمْ يُفَرِّضْ عَلَيْنَا الْجَوَابَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(١).

٥- الأئمة يهدون بأمر الله

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٢).

تفسير القمي: «حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: الْأَئِمَّةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِمَامَانِ، إِمَامٌ عَدْلٌ وَإِمَامٌ جَوْرٌ - قَالَ اللَّهُ «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» لَا بِأَمْرِ النَّاسِ يُقَدِّمُونَ أَمْرَ اللَّهِ قَبْلَ أَمْرِهِمْ - وَحُكْمَ اللَّهِ قَبْلَ حُكْمِهِمْ - قَالَ: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» يُقَدِّمُونَ أَمْرَهُمْ قَبْلَ أَمْرِ اللَّهِ - وَحُكْمَهُمْ قَبْلَ حُكْمِ اللَّهِ - وَيَأْخُذُونَ بِأَهْوَائِهِمْ خِلَافاً لِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ»^(٣).

«عن مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُسَيْدٍ عَنْ

١ - المصدر، ص ٣٩.

٢ - سورة السجدة: ٢٤.

٣ - تفسير القمي، ج ٢، ص ١٧١.

إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ هِلَالٍ الْأَحْمَسِيِّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبِ الْعَبْسِيِّ عَنْ جَابِرِ الْجُعْفِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي وُلْدِ فَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاصَّةً ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

٦- بما استحفظوا من كتاب الله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٢).

تفسير العياشي عن الصادق عليه الصلوة والسلام: «الرَّبَّانِيُّونَ هم الأئمة دون الأنبياء الذين يربون الناس بعلمهم، والأحبار هم العلماء دون الربانيين. قال: ثم أخبر عنهم فقال: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾، ولم يقل بما حملوا منه»^(٣).

تفسير العياشي: «عن مالك الجهني قال: قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ إلى قوله ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ

١ - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ص ٤٣٧ الإسترآبادي.

٢ - سورة المائدة: ٤٤.

٣ - تفسير الصافي، ج ٢، ص ٣٨.

كِتَابِ اللَّهِ ﷻ قال: فينا نزلت»^(١).

٧- رواية جامعة في الإستدلال القرآني في الإمامة

أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ الْعَلَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: «كُنَّا مَعَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَرَوْ فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا فَأَدَارُوا أَمْرَ الْإِمَامَةِ وَذَكَرُوا كَثْرَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا فَدَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَعْلَمْتُهُ خَوْصَ النَّاسِ فِيهِ فَتَبَسَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ جَهْلَ الْقَوْمِ وَخُدِعُوا عَنْ آرَائِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ ﷺ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فِيهِ تَبَيَّنَ كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَ فِيهِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ كَمَلًّا فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ - ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَأَنْزَلَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ وَهِيَ آخِرُ عُمُرِهِ ﷺ، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾، وَأَمْرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ.

وَلَمْ يَمُضِ ﷺ حَتَّى بَيَّنَّ لِأُمَّتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ وَتَرَكَّهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ الْحَقِّ وَأَقَامَ لَهُمْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمًا

١ - تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٢٢.

وإماماً وما ترك لهم شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بينته، فمن زعم أن الله عزَّ وجلَّ لم يكمل دينه فقد ردَّ كتاب الله، ومن ردَّ كتاب الله فهو كافر به، هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة؟! فيجوز فيها اختيارهم. إن الإمامة أجلُّ قدرًا وأعظم شأنًا وأعلى مكانًا وأمنع جانبًا وأبعد غورًا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بأرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم.

إن الإمامة خصَّ الله عزَّ وجلَّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة، والخلة مرتبةً ثالثةً وفضيلةً شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾، فقال الخليل عليه السلام سروراً بها - ﴿ومن ذريتي﴾ قال الله تبارك وتعالى - ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفة والطهارة فقال: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلةً و كلاً جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمةً يهتدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾.

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً قرناً حتى

وَرَّثَهَا اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى - ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ
بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَليُّ
المُؤْمِنِينَ﴾. فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً فَقَلَّدَهَا ﷺ عَلِيًّا ؓ بِأَمْرِ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللَّهُ فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ
آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى - ﴿وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
وَ الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾، فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ
ؓ خَاصَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَنْ أَيْنَ
يُخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِزْتُ الْأَوْصِيَاءِ!
إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَ مَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
ؓ وَ مِيرَاثُ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ ؓ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَاحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ
المُؤْمِنِينَ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ أَسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي وَفَرَعُهُ السَّامِي.

بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصِّيَامِ وَ الْحَجِّ وَ الْجِهَادِ
وَ تَوْفِيرُ الْفِيءِ وَ الصَّدَقَاتِ وَ إِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَ الْأَحْكَامِ وَ مَنَعُ الثُّغُورِ
وَ الْأَطْرَافِ.

الإمام يُحِلُّ حَلَالَ اللَّهِ وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللَّهِ وَيَقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ
وَيَذُبُّ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ.

الإمام كالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلَّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ وَهِيَ فِي الْأَفْقِ
بِحَيْثُ لَا تَنَالُهَا الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارُ.

الإمام البدرُ المُنِيرُ وَالسَّرَاجُ الزَّاهِرُ وَالنُّورُ السَّاطِعُ وَالنَّجْمُ
الهُدَايِ فِي غَيَابِ الدُّجَى وَأَجْوَازِ الْبُلْدَانِ وَالْقَفَارِ وَجُحِ الْبِحَارِ.

الإمام الماءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمِّ وَالذَّالُّ عَلَى الْهُدَى وَالْمُنْجِي
مِنَ الرَّدَى.

الإمام النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ الْحَارِّ لِمَنْ اضْطَلَّ بِهِ وَالذَّلِيلُ فِي
الْمُهَالِكِ مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ.

الإمام السَّحَابُ الْمَاطِرُ وَالغَيْثُ الْهَاطِلُ وَالشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ
وَالسَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ وَالْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ وَالْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ وَالْعَدِيرُ
وَالرَّوَضَةُ.

الإمام الأَنْبِيَاءُ الرَّفِيقُ وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَالْأَخُ الشَّقِيقُ وَالْأُمُّ

الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ وَمَفزَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ النَّادِ.

الإمام أمين الله في خلقه وحجته على عباده وخليفته في بلاده
والداعي إلى الله والذاب عن حرم الله الإمام المطهر من الذنوب
والمبّرأ عن العيوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلّم، نظام الدين
وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين - .

الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد
منه بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير
طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب، فمن
ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟! هيّهات هيّهات
صلّت العقول وتاهت الحُلوم وحارت الألباب وخسأت العيون
وتصاغرت العظماء وتحيرت الحكماء، وتقاصرت العلماء وحصرت
الخطباء وجهلت الألباء وكلت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت
البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله وأقرت
بالعجز والتقصير وكيف يوصف بكلمة أو يُنعت بكلمة أو يفهم
شيء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويُغني عنه لا كيف و
أنى وهو بحيثُ النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين

الِاخْتِيَارُ مِنْ هَذَا، وَآيِنَ الْعُقُولِ عَنْ هَذَا، وَآيِنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا؟!!

أَتَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ
كَذَبْتَهُمْ وَاللَّهِ أَنفُسَهُمْ وَمَنْتَهُمُ الْآبَاطِيلَ فَارْتَقُوا مُرْتَقَى صَعْبًا دَخَضًا
تَرَلُّ عَنْهُ إِلَى الْخَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ، رَامُوا إِقَامَةَ الْإِمَامِ بِعُقُولِ حَايِرَةٍ
بَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ وَآرَاءٍ مُضَلَّةٍ، فَلَمْ يَزِدَادُوا مِنْهُ إِلَّا بُعْدًا، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ
أَنَّى يُؤْفَكُونَ، وَلَقَدْ رَامُوا صَعْبًا وَقَالُوا إِفْكًَا وَصَلُّوا صَلًّا لَا بَعِيدًا
وَوَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ إِذْ تَرَكُوا الْإِمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَزَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ
اللَّهِ وَاخْتِيَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ وَالْقُرْآنُ
يُنَادِيهِمْ - ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا
مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾
الْآيَةِ، وَقَالَ - ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ
إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بِالْعِزَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ
لَمَا تَحْكُمُونَ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ
إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ - ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ
عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أَمْ ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

أَمْ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

أَمْ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا﴾، بَلْ هُوَ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يَؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، فَكَيْفَ هُمْ بِاخْتِيَارِ الْإِمَامِ وَالْإِمَامُ عَالِمٌ لَا يَجْهَلُ وَرَاعٍ لَا يَنْكُلُ، مَعِدُنُ الْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ وَالنُّسُكِ وَالزَّهَادَةِ وَالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ مَخْصُوصٌ بِدَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَنَسْلِ الْمُطَهَّرَةِ الْبُتُولِ.

لَا مَعْمَزَ فِيهِ فِي نَسَبٍ وَلَا يُدَانِيهِ ذُو حَسَبٍ فِي الْبَيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالذُّرُورَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَالْعِثْرَةِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ وَالرِّضَا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَرَفُ الْأَشْرَافِ وَالْفَرْعُ مِنْ عَبْدِ مَنْأَفٍ، نَامِي الْعِلْمِ كَامِلُ الْجِلْمِ مُضْطَلِعٌ بِالْإِمَامَةِ عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ مَفْرُوضُ الطَّاعَةِ قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللَّهِ حَافِظٌ لِدِينِ اللَّهِ.

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَئِمَّةَ ﷺ يُوفِّقُهُمُ اللَّهُ وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ حَزُونِ عِلْمِهِ وَحِكْمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ غَيْرُهُمْ، فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ أَهْلِ الزَّمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا

يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١﴾ وَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى -
﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وَقَوْلِهِ فِي طَالُوتَ
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي
مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ - ﴿أَنْزَلَ
عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾، وَقَالَ فِي الْأَثَمَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ وَعِزَّتِهِ وَدُرِّيَّتِهِ
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ
إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾، وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأُمُورِ عِبَادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ يَتَابِعَ
الْحِكْمَةَ وَأَهْمَهُ الْعِلْمَ الْإِهَامًا، فَلَمْ يَعْيَ بَعْدَهُ بِجَوَابٍ وَلَا يُجِيزُ فِيهِ
عَنِ الصَّوَابِ - فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ قَدْ آمَنَ مِنَ الْخَطَايَا
وَالزَّلَلِ وَالْعِثَارِ، يُخَصُّهُ اللَّهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ وَشَاهِدَهُ
عَلَى خَلْقِهِ وَ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ﴾ فَهَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فَيَخْتَارُونَهُ، أَوْ يَكُونُ مُخْتَارَهُمْ
بِهِذِهِ الصِّفَةِ فَيَقْدِمُونَهُ، تَعَدَّوْا وَبَيَّنَّ اللَّهُ الْحَقَّ وَبَدَّوْا كِتَابَ اللَّهِ
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ الْهُدَى وَالشِّفَاءَ

فَبَدُّوهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، فَذَمَّهُمُ اللَّهُ وَمَقَّتَهُمْ وَأَتَعَسَهُمْ فَقَالَ جَلَّ
 وَتَعَالَى:- ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وَقَالَ ﴿فَتَعَسَاءَ لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَاهُمْ﴾، وَقَالَ:
 ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ
 مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا^(١).

١ - الكافي (ط - الإسلامية)، ج ١، ص: ١٩٩.

الفهرس

- هذه الدراسة ٧
- ١- القرآن والتأصيل العقائدي ١٣
- توطئة ١٣
- رؤى وعقبات ١٦
- أولاً: عقبات (نظرية أو ثقافية): ١٦
- ثانياً: السنة عدل القرآن الكريم: ٢١
- ثالثاً: العقل ضابط لا مؤسس للفهم القرآني ٢٢
- رابعاً: التعضية ٢٤
- خامساً: فقه الخطاب ٢٩
- ٢- الإمامة نموذجاً ٣٣
- ٣- أهل البيت عليهم السلام وتأصيل الإمامة قرآناً ٤١
- ١- العهد الإلهي ٤٢
- ٢- الإختيار الإلهي ٤٤

- ٤٦ ٣- الإمام المبين
- ٤٧ ٤- فاسألوا أهل الذكر
- ٤٩ ٥- الأئمة يهدون بأمر الله
- ٥٠ ٦- بما استحفظوا من كتاب الله
- ٥١ ٧- رواية جامعة في الإستدلال القرآني في الإمامة

